

مطبوعات المجمع العلمي العراقي
الجامع الكبير

في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور

تأليف ضياء الدين بن الأثير الجزري

قام بتحقيقه والتعليق عليه : الدكتوران مصطفى جواد وجميل سعيد

إن للمجمع العلمي العراقي فضلاً على العلم واللغة العربية والأدب لا ينكر ،
وحقيق بأن يشكر بما نشره من الكتب العلمية والأدبية الممتعة ، وبما حققه
أعضاؤه الأفاضل من نفائس المخطوطات التي نشرها فأحيوا بها كثيراً من
تراثنا العربي مما ألفه سلفنا الصالح للحياة ؛ ومن تلك المخطوطات كتاب (الجامع
الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور) لصاحب (المثل السائر)
ضياء الدين بن الأثير الجزري ، وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه من قدماء أصدقائي
الدكتوران الجبهذان مصطفى جواد وجميل سعيد ، وهما من أعلام العراق الذين
لم يبيض الأيدي على العلم والأدب ولغة العرب .

إن هذا الكتاب الموسوم بالجامع الكبير هو صنو كتاب (المثل السائر)
للضياء ابن الأثير الذي اشتهر به شهرة أدبية طفت على شهرته السيامية ،
وعُرف بعلوم البلاغة والبيان أكثر مما عُرف بالوزارة والديوان ، ولا أعرف
أديباً له رأي في البيان وأصاليه إلا وللمثل السائر أثر يبين في تقويم أسلوبه
وإرشاده إلى وسائل الملكة العربية ، ففيه من أصول (فن الكتابة) ما يكتبه
علماء الإنشاء الغربيون للشداة في الكتابة لبيّنوا لم أخصر الطرق وأقرب
الوسائل لتحصيل ملكة الكتابة في لغاتهم ، وقد طبع المثل السائر مرات في مصر
ولم يخدم الخدمة الواجبة في نشره ، والجامع أصبق بالتأليف من المثل السائر ،

لأن المؤلف في المثل أتم بحثاً في بعض المواضع من الجامع أو أكثر توضيحاً لمقاصده منه ولأن شخصية ابن الأثير أشد وضوحاً في المثل ، فهو فيه كثير التهجّم على مخالفيه في آرائه ، وكثير الاعتداد ببلاغة رسائله والاستشهاد بها ، وأسلوب ابن الأثير في الجامع هو - كما يرى المحققان الفاضلان - هادي ، وينقل عن تقدمه من علماء البيان ويشير الى مواطن النقل في كثير من الأحيان ، ويجادل في الرأي جدالاً هادئاً ، كما لا نزاه في المثل السائر إذ قلما نراه يشير فيه الى رأي وهو لا يحاول تنفيده ، أو النيل من صاحبه ، وهذا ما ألب عليه الذين تصدّوا لنقد كتابه وتنفيذ آرائه كعز الدين المدائني (ابن أبي الحديد) في كتابه الفلك الثائر على المثل السائر .

واعتمد المحققان في نشر الجامع الكبير على مصوِّرة شمسية من نسخة خطية بدار الكتب المصرية (برقم ٢٧٠ بلاغة و ٣٠٠٦٤ عمومية) ، ولكنها كما يقولان : « مع وضوحها في الكتابة كثيرة التصحيف ، وقد أجهلنا أنفسنا في الرجوع الى كتب البلاغة ، وكان أجداهما نفعاً وأكثرها معونة لنا كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للمؤلف نفسه . . . وكنا نوازن بين ما ورد هنا وورد في المثل السائر ورأينا كثيراً من الأخطاء جاءت في المثل ، وكان من الممكن أن تصلح بالرجوع الى هذا المخطوط ، وقد نهينا الى بعض ذلك في حواشي هذا الكتاب » .

قلت : ولينه كان عند هذين الصديقين المحققين مع مصوِّرتها تلك النسخة المصورة عن مكتبة خديجنش بننه فوشي ، فهي أقدم من نسخة الدار (من القرن السابع) ومكتوبة بخط نفيس مشكول (تحت رقم ١٣٠٩٥ ج بلدية) ، فلعلها كانت أشد معونة لها في التحقيق وإفادة من المثل السائر ، أذكر على سبيل المثل ما جاء في هذا الجامع منقولاً عن نسخة المصورة التي اعتمد عليها المحققان (ص ٢٠٨ / ١٢) : [وهن دلائل معنى واحداً لا غير وهو الحركة] ، وهذه

العبارة في مصورة خدا بنخش الثانية : [وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة] ، ومثل هذه التباينات مما يساعد التحقيق ، ومع شدة تصحيف المصورة التي اعتمدا عليها ، وهي المخطئة ، جاء الجامع الكبير بفضل ناشره من أصح ما نشرته مطابعا ، ويشهد لذلك أن كثيراً من نواقص مخطوطته المصورة التي أتمها المحققان وأكلاها بين الأقواس كانت صحيحة كما جاء في مصورة خدا بنخش ، مما يدل على صحة طبع الناشرين وقوة تحقيقهما .

وتنتهي للطبعة الثانية أن تُضبط فيها بعض الألفاظ بالشكل الكامل توضيحاً للمعاني ، وأن يُشار في الحواشي وبالأرقام إلى مواطن البحث في المثل السائر ، وأن لا تُنسى مصورة خدا بنخش للمعارضة ، وأن تكون صلة صديقي الناشرين بالمطبعة وثيقاً ، فلا يصح اعتماد الناشر على صفاتي الحروف الذين لا يهمهم الضبط أو صحة النقل كما يهمهم الإنتاج وكثرة الدخل ، يدل على ذلك ما جاء في الجامع الكبير من أخطائهم التي لا يفقرها لم الاعتذار والاصتقار : [الرّم الأول للصحيفة والثاني بعد الفاصل للسطر] :

١٣ / ٧ : (لم يحذف الفاء في مستقبل فِعْلٍ وَفَعْلٍ) والصواب : في مستقبل فَعْلٍ وَفَعْلٍ ، وبدل على أن المطبعة مصدر اخطأ ما جاء بعد ذلك : بل بقول وَيَجَلَّ يَوْجَلُّ وَوَضُوُّ يَوْضَاً ؛

٢٣ / ٣ من المقدمة : (ولم أزل صاعياً في تقديم أوده) ص : في تقويم أوده ؛

٢٤ / ٨ : (والذين أصابهم البغي هم ينتصرون) وصواب الآية الكريمة :

والذين إذا أصابهم البغي . . . ؛

٢٤ / ١٦ : (وأنا أدعوه الى كلمة سواء بيني وبينه أن يبني أحدنا على صاحبه)

ص : أن لا يبني . . . وعليه المعنى ؛

١٩/٣٤ : (وكذلك فعل في حيث الرسول الكريم) ص : في حديث الرسول الكريم ؟

١/١١٣ : (فإنه قدم خبر كان عليها) ص : خبر كان عليها ، من شطر (كان قفرا رصوحها فلما) .

٢١/١٨٤ : (وأزلفة الجنة للمتقين) وصواب الكتابة : (وأزلفت) بتاء التأنيت المبسوطة (الشراء ٩٠) ؟

١٠/٢٠٥ : (ما أطلب منكم من عبادة إلهين) ص : من عبادة إلهي ، والمعنى عليه ؟

١٢/٢٠٨ : (ومن دلائل معنى واحد) ص : ومن دلائل أو دلالات على معنى واحد ؟

٣/٢٢٩ : (جوائح قد أيقن ان قبيلة) ص : (. . . أن قبيلته) وهو صدر البيت للنايفة عجزه : (اذا ما التقي الجمعان أول غالب) ، وبدل على أن اخطأ من الطابع وحده أن الناشرين ذكرا هذا البيت صحيحا في الصفحة ٦٢٤٦ وهناك من السهو المطبعي غير ما ذكرنا على صيبل المثال ، ومع ذلك فان كتاب الجامع الكبير لضياء الدين بن الاثير من أقل ما طبع في بلادنا خطأ ، ومن أكثرها نفقا ، وهو مما لا يستغني مدرس البلاغة والانشاء عن الرجوع اليه في تقرير مسائلها العلمية والادبية وفي تصحيح المثل السائر ؛ ولولا قوة ملكة الصديقين الناشرين وسعة علمها وقوة صبرهما وجلدهما على التمحيص والتحقيق مع تصحيف المصورة التي اعتمدا عليها فقوما أودها وصدأ خلالها ، لولا ذلك لما ظفرنا برؤية هذا الجامع الكبير قريبا من أصله ، فللناشرين المحققين منا أطيب الثناء ، ولهما من الله فدا أفضل الجزاء .